Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أمّا المعنى التخييلي فهو المعنى الذي يتعارض مع «مقتضيات العقول»،[23] ويخلّ بنظام الطّبيعة ويخرق السّير العادي للأشياء : «وجُمْلَةُ الحديثِ الذي أُرِيدُهُ بالتّخْييلِ هَهُنَا مَا يُثْبِتُ فيه الشاعِرُ أمراً هو غير ثابتٍ أصْلاً، وَيَدَّعِي دَعْوى لا طريقَ إلَى تحْصِيلِهَا، ويقُول قَوْلاً يخْدَعُ فِيهِ نَفْسَهُ ويُرِيهَا ما لاَ تَرَى».[24] الشّاعر في هذه الحالة يعيد بناء العالَم حسب هواه، تماماً كالطّفل عندما يلعب. اللّعب بالنّسبة للطّفل فرصة لصياغة عالم يوافق رغبته، عالَم يتصرّف فيه كما يشاء.[25] التّخييل يعود بالشّاعر (وبالمتلقّي) إلى مرحلة الطّفولة، إلى ما يُسمّيهِ الجرجاني «العلم الأول».

إنّ التصوير الذي يميّز الشّعر يرتكز أساساً على الحواس، «ومعلومٌ أنّ العلمَ الأول أتَى النفسَ أولاً من طريقِ الحَوَاس والطِّباعِ ثمّ مِنْ جِهَةِ النَّظرِ والرَّوِيَّة، فهو إذن أمسُّ بها رَحِماً، وأقْوَى لَدَيْهَا ذِمَماً، وأقْدَمُ لَهَا صُحْبَةً، وآكَدُ عندَها حُرْمَةً».[26] هذا العلم يكوّن طبقة نفسية تغطّيها فيما بعد طبقة أخرى تتكون من العلم الثاني أي من «العقل المحض». لابدّ للمرء في يوم من الأيام أن يتخلّى عن طفولته وأن يدين بالولاء للعقل، لابد أن يغترب الفتى وأن يعدل عن ألعابه المألوفة. هذا الانتقال من مرحلة إلى مرحلة ألمحه في بيت لأبي تمام يذكره الجرجاني[27] :

وطُـولُ مُقَـامِ المَرْءِ فِي الحَيِّ مُخْلِـقٌ لِـدِيبَـاجَتَيْـهِ فَـاغْتَرِبْ تَتَجَـدَّدِ

الاغتراب مرادف هنا للتّجدّد. يبتعد الفتى عن حيّه، عن أهله، ويتّخذ شكلاً جديداً. ها هو الآن يقيم عند أُناسٍ آخرين بعيداً عن «حيِّه». لكن هل تجَدَّدَ فعلاً ؟ لماذا يا ترى ينظر إلى الخلف، إلى ما خلف وراءه ؟ الابتعاد لا يعني

23) الجرجاني، ص. 217.

24) الجرجاني، ص. 221.

25) فرويد، 1933، ص. 70 ـ 71. قد أعود في يوم من الأيام إلى دراسة هذه النّقطة المهمّة التي لن تتضّح إلاّ بالبحث عن العلاقة بين اللّعب والبدعة والسّحر والكيمياء.

26) الجرجاني، ص. 94.

27) الجرجاني، ص. 97.